معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 1 (جوان 2023): ص.ص: 1064-1078

ممارسات الذات في فلسفة ميشيل فوكو

The practices of the self in the philosophy of Michel Foucault

ط.د. مخلوف شاكر[1] *. د. محمد بوشيبة[2]

[1]جامعة وهران 2، الجزائر، shaker.makhlouf@gmail.com

[2] جامعة وهران 2، الجزائر، bouchiba.univoran2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/20؛ تاريخ القبول: 2023/05/29؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

للحديث عن ممارسات الذات عند فوكو، يمكن القول أن كتب تأويل الذات، والانهمام بالذات، والمراقبة والعقاب، والكلمات والأشياء هي التي تمثل دراسته للذات وكذا تتبع تقنياتها والممارسات التي طبقت عليها، وفي كتبه الأخيرة خاصة منها تاريخ الجنسانية عدل مشروعه بالانتقال من دراسة الحياة الجنسية إلى دراسة تقنيات الذات، حيث أن هذا التعديل يتناول البعد الأخلاقي للجنس، وكذلك الفترة التاريخية المدروسة التي تمتد إلى اليونان، والأخلاق عند فوكو طرحت سؤالا مغايرا وأفقا مختلفا عما تواطأ عليه العقل الفلسفي، أي ذلك العقل الذي يتجه إلى البحث في طبيعة المعايير الضابطة للسلوك، حيث أن الأخلاق من خلال هذه الرؤية هي مجموعة من الأوامر والنواهي، وكذا منظومة القيم التي توجه سلوك الأفراد إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك.

كلمات مفتاحية: الذات؛ الأخلاق؛ السلوك؛ الحقيقة.

Abstract:

To talk about Foucault's practices of the self, it can be said that the books of self-interpretation, self-indulgence, observation and punishment, and words and things represent his study of the self as well as trace its techniques and practices applied to it.

* المؤلف المرسل.

In his recent books, especially the history of sexuality, he amended his project by moving from the study of sexuality to the study of techniques of the self, as this amendment deals with the ethical dimension of sexuality, as well as the studied historical period that extends to Greece, Ethics according to Foucault raised a different question and a different horizon from what the philosophical mind colluded with, that is, that mind that tends to research the nature of the standards governing behavior, since ethics through this vision is a set of commands and prohibitions, as well as a system of values that direct the behavior of individuals to what they should To have this behaviour

Keywords: Self, morals, behavior, truth.

المقدمة:

في نطاق ممارسات الذات عند فوكو، نجد أنه تساءل: كيف ولماذا وتحت أي شكل قد تم تشكيل الفعالية الجنسية كحيز أخلاقي؟ والأخلاق عند فوكو طرحت سؤالا مغايرا وأفقا مختلفا عما تواطأ عليه العقل الفلسفي، أي ذلك العقل الذي يتجه إلى البحث في طبيعة المعايير الضابطة للسلوك، حيث أن الأخلاق من خلال هذه الرؤية هي مجموعة من الأوامر والنواهي، وكذا منظومة القيم التي توجه سلوك الأفراد إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك، لذا نتساءل: ما مفهوم الذات عند ميشيل فوكو؟ وما هي مكانتها بين المعرفة والسلطة؟ وما علاقتها بالحقيقة؟ وكيف يتم بناء ذات أخلاقية؟

لقد تمحورت فلسفة فوكو حول حرية الذات الفردية الإنسانية، تلك الحرية التي لا تحدها سلطة ولا معرفة مستثمرة من قبل السلطة، حيث كان حلم فلسفة فوكو هو تحرير الذات الفردية، وهي فلسفة تهدف وتقتضي في غرضها النهائي تحرير الذات من كافة أشكال الاستلاب والاغتراب، والدفاع عنها من محاولات طمس وجودها ونفي استقلاليتها وفعاليتها.

أولا: الذات عند فوكو

اعتبر فوكو الأخلاق سلوكات وتصرفات يومية للأفراد، ولهذا فحسبه أن الفكر الحديث عاجز كل العجز عن اقتراح أخلاق معينة، وهذا في ظل عصر الحداثة وما بعد

الحداثة كذلك الذي يبشر بفناء كل أخلاقية وانهيار كل القيم أمام سيادة اللامعيارية والعدمية، حيث انقضاء المعاني والمرجعيات الثابتة وكذا موت المعنى وبروز الفردية، إذ حل التشريع الفردي محل القيم ومختلف المرجعيات. ولقد كانت لميشيل فوكو رؤية مميزة من خلال دعوته الصريحة للعودة إلى الأخلاق اليونانية والرومانية عبر مختلف مراحلها، فبينما نجد اهتماما بالغا من قبل الدارس الفلسفي بالمنهج الفوكوي من تحليل للأركيولوجيا والجنيالوجيا، تغيب المسألة الأخلاقية باعتبارها أحد المسائل التي تناولها فوكو في تاريخ الجنسانية، من هنا كان لا بد من تحليل العلاقة بين المنهج الفوكوي والأخلاق خاصة أن وعي القطيعة والنهاية ولعبة البنية وجدلية السلطة والمعرفة تؤسس لتنظير آخر للسؤال الفلسفي في الأخلاق، من هنا فإن ما نتساءل عنه هو العلاقة التي يمكن أن تكون بين الأخلاق القديمة التي عاد إليها فوكو والتي ترجع إلى العصر اليوناني والروماني وعصرنا هذا الذي نعيشه، فهل نجد في التجربة اليونانية والرومانية إجابات عن المشاكل التي تواجهنا، ذلك أنه عندما نعود لفكر فوكو الأخلاقي نجده يستدل بالتجربة اليونانية والرومانية خاصة في مفهومه للذات والاهتمام بها وفق آليات وتقنيات صادرة عنها تجعل منها ذاتا حرة مبدعة لسلوكها غير مبالية بأي مرجعية تحدد هذا السلوك.

1-مفهوم الذات عند فوكو

هناك اختلاف لدى الباحثين والمختصين في فلسفة فوكو في تقدير موقف فوكو من الذات، وذلك راجع إلى أن الفيلسوف قدم في المرحلة الأولى من مسيرته الفلسفية ذاتا خاضعة ومهيمنا عليها وموضوعا لشتى الأساليب والتقنيات، وأبرزها التقنيات المعتمدة في السجن، وأجلاها عبارة موت الإنسان التي سطرها في كتابه الكلمات والأشياء، حيث قال: " أما ما يعلن في أيامنا الحاضرة، ويشير نيتشه هنا من بعيد إلى نقطة التحول، فليس غياب الله أو موته هو المؤكد بقدر ما هي نهاية الإنسان... فالإنسان اختراع تظهر أركيولوجيا فكرنا بسهولة حداثة عهده، وربما نهايته القريبة"[1].

أما في المقاربة الثانية فيظهر ذاتا سيدة وحرة وخاصة في درسه "تأويل الذات" الذي قدمه ميشيل فوكو سنة 1982، وهو درس متعلق بالذات والحقيقة وقد كان موضوعه نظام المتع في المرحلة اليونانية والرومانية، ويظهر هذا الدرس بصورة معينة في الجزء

(1) Michel foucault: les mots et les choses, Gallimard. Paris. 1966 , pp 212, 213.

الثالث من تاريخ الجنسانية "الاهتمام بالذات"، وفي هذا الدرس يهتم فوكو بالاهتمام بالنفس/الذات، وبالممارسات المتعلقة بها، أو بما يسميه بثقافة النفس[1].

وقد قدم فوكو تفسيرا لهذا التعارض من جهة ما يتصل بمساره الفلسفي، ومن جهة مفهومه للذات، حيث رأى في المقاربتين المتعارضتين ما يشير إلى طريقتين متعاكستين في تحليل السؤال ذاته، وهو: كيف تتشكل تجربة ثقافية من خلال ترابط العلاقة ما بين الذات والآخرين؟ يعني ذلك الإقرار بوحدة الإشكالية وبالاختلاف في المنهج المعبر عنه باسم الأركيولوجيا أو الوصف أولا، والجنيالوجيا أو البحث التاريخي ثانيا، كما يعني دفاع الفيلسوف عن وحدة فلسفته، رغم إقراره باختلاف أسلوبه في المعالجة وذلك بالنظر إلى اختلاف طبيعة الموضوع، فدراسة المجنون والمريض، والمجرم يقتضي إظهار العمليات التي يسميها التوضيع Objectivation، في حين أن الجنس يقتضي إظهار وإبراز عمليات التذويت Subjectivation، وعمليات التذويت والتوضيع هذه تشكل إجابة للإشكالية المركزية حول كيفية تشكل تجربة ثقافية من خلال مجالات المعرفة، وأنماط المعايير أشكال الذاتية[2].

أما من جهة مفهومه للذات فإن فوكو قد دافع عن معنى خاص للذات، قام على التمييز بين الذات بوصفها جوهرا يتميز بالسيادة والكونية، وبين الذات بوصفها شكلا متغيرا ومتحولا، حيث يقول فوكو: "يجب أن نميز بداية بأنه ليس هناك ذات سيدة ومؤسسة لها شكل كوني يمكن أن نجده في كل مكان، إنني أشك في وجود مثل هذا التصور، وإنني أناهضه وأرى العكس من ذلك: إن الذات تتشكل وتتكون من خلال ممارسات الإخضاع والتحرر والحرية، مثلما هو الحال قديما، وذلك انطلاقا من عدد معين من القواعد والأساليب والاتفاقات التي نجدها في الوسط الثقافي"[3].

ويؤكد فوكو في كثير من نصوصه أن فكره يمثل نقدا جذريا للذات كما فهمتها فلسفات الذات بدءا من ديكارت وصولا إلى سارتر، أي تلك التي حددت وعي الذات بذاتها، ومن ثم معرفتها بذاتها على أنه وعي أنوي يتموقع خارج التاريخ ومتشكل ذاتيا وحر بإطلاق،

(1) ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة: الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2011، ص 5.

(2) Michel Foucault: l'usage de plaisirs, Gallimard, paris, 1984, p 10.

(3) الزواوي بغورة: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2013، ص 234، نقلا عن Michel Foucault, Dits et écrits, vol 4, P 733.

لكن فوكو وخلافا لهذه الفلسفات يحلل تشكل الذات ضمن مجرى التاريخ، فهو يتحدث عن الذات كموضوع يتشكل تاريخيا[1].

وتحدث فوكو في أعماله الأخيرة عن علاقات الذات بالحقيقة والسلطة، وهذه العلاقات أعطت لأعماله وجهة جديدة، ذلك أنها طرحت إشكالية حول فلسفته كلها، ألا وهي: منزلة الذات في الفلسفة المناهضة للذات، يقول فوكو: "لا تتمثل مشكلتي في تحديد اللحظة التي ظهرت فيها الذات، ولكنها تتمثل في مجمل العمليات التي من خلالها توجد الذات مع مختلف المشاكل والعراقيل أو العقبات، ومن خلال الأشكال التي لم تنته بعد، يتعلق الأمر إذن بإدخال مشكلة الذات التي تركتها جانبا في أعمالي الأولى، ومحاولة تتبع المسالك والصعوبات خلال تاريخها"[2]، ينجم عن هذا أن الذات التي يتحدث عنها فوكو ليست جوهرا ثابتا، وإنما هي شكل تاريخي وثقافي محدد، ولذلك قام بدراسة الأشكال التاريخية للذات.

2-الاهتمام بالذات:

لم يسع فوكو إلى إثبات الذات بقدر ما سعى إلى تأكيد حضورها وفعاليتها، والاهتمام بالذات كمشغل يستحق الاهتمام. وقد وصف سقراط بأستاذ الاهتمام بالذات، فقد انتدبه الإله لتذكير البشر بأنهم بحاجة إلى الانهمام بذواتهم ونفوسهم، وليس بثرواتهم أو مجدهم[3].

وهو مظهر يتناسب من حيث الاتجاه المعرفي السلوكي، مكرسا حكمته في الاهتمام بالذات التي يوحي بها زينون الإيلي تلامذته: على الذين يريدون الخلاص أن يعيشوا وهم يعتنون بأنفسهم دون انقطاع[4].

في بحث فوكو عن الذات لم يمتحن معيار الواجب، وهو ما يجعلنا نطرح سؤال: هل الانهمام بالذات نابع عن ذات إيثارية، أم هو نابع عن ذات أنانية؟ علينا أن نفرق بين النزعة الأنانية وحب السيطرة والتملك وهي "حب الذات" من ناحية، ومن ناحية أخرى حضور الذات الفاعلة يقول فوكو: "يمكننا أن نميز باقتضاب ثقافة الذات بحيث فن الوجود

(1) خالد البحري: إستطيقا الذات لدى فوكو، مجلة دراسات فلسفية، العدد03، نوفمبر، 2014، ص ص 9، 10.

(2) الزواوي بغورة: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص 235، نقلا عن Michel Foucault, Dits et écrits, vol 4, P 705.

(3) ميشيل فوكو: الانهمام بالذات، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت، ص 32.

(4) المرجع نفسه، ص 33.

بمختلف أشكاله يوجد فيها خاضعا لمبدأ أنه يجب الاعتناء بالذات، فهذا المبدأ للانشغال بالذات هو الذي يؤسس ضرورتها ويحكم تطورها، وينظم ممارستها، ولكن يجب أن ندقق ففكرة أنه ينبغي أن نعتني بذواتنا هي بالفعل موضوعة قديمة في الثقافة اليونانية"[1].

فمع التطور من العصر اليوناني إلى العصر الروماني بدأت تقوية العلاقة مع الذات ونمت نزعة تولي أهمية بالغة لأوجه الحياة الخاصة والاهتمام بالذات، والانشغال بالذات لا يشير إلى انشغال غامض فقط، إنما يشير إلى مجموع الاهتمامات والأفعال والممارسات والنشاطات المتنوعة، فهناك العناية بالجسد والحمية الصحية والتمارين الرياضية، ويشير إلى الانشغال بالذات بعيدا على أن يكون اهتماما فرديا وأنانيا، كما يعد الانشغال بالذات مكثفا للعلاقات الاجتماعية، ويمثل علاقة وثيقة مع الفكر والممارسة الطبية، فممارسة الفعل الذاتي تتضمن أن يقف الفرد بإزاء نفسه ليس كونه فردا يعاني من بعض الآلام التي ينبغي عليه معالجتها، ويفسر فوكو هذه التقنيات بأنها تنتظم لتحقق هدف وحيد وهو التحول نحو الذات[2].

يقول فوكو: "إن ممارسة الذات تتضمن أن تتشكل في نظرنا لا ببساطة كأفراد ناقصين، جهلة، يحتاجون لأن يصححوا ويكونوا ويتعلموا، ولكن كأفراد يعانون من بعض الأضرار يجب عليهم أن يعالجوها، إما بأنفسهم، وإما من طرف آخر يملك الكفاءة لذلك"[3].

إن تاريخ اهتمام المرء بذاته في التصور الفوكوي هو في الوقت نفسه التاريخ الذي تحولت فيه العناية الفردية إلى هم جماعي، وهو تاريخ الكيفية التي يتشكل بها الأفراد كذوات أخلاقية في صلب المجتمع، وتاريخ النماذج المقترحة لبناء وتطور علاقة الفرد بذاته وبالآخرين بواسطة التأمل في الذات، والمعرفة والاختبار، وتفكيك الذات بواسطة الذات[4].

والهدف الأساسي والجوهري من ممارسة الذات هو مبدأ التحول إلى الذات، إنه المسار الذي بمقتضاه ينتهي بنا إلى الالتقاء مع ذواتنا متحررين من كل التبعيات

(1) المرجع نفسه، ص 41.

(2) المرجع نفسه، ص 58.

(3) ميشيل فوكو، الانهمام بالذات، مرجع سابق، ص 58.

(4) حسين موسى: ميشيل فوكو الفرد والمجتمع، دار التنوير، تونس، 2009، ص 23.

والعبوديات "فالنفس المتحررة من أمور المستقبل تحتل موقعا منيعا وتحمي ذاتها في الحصن الذي ينتمي لها"[1]، ومن ثم فإن الهدف الرئيسي الواجب تحديده ليس متخارجا عنا بل على العكس من ذلك فإنه ثاو فينا وموجود في ذواتنا وفي علاقتنا مع النفس.

يجب أن يقيم كل فرد هذه العلاقة مع نفسه، وهي التي يجب أن تشكل غاية التحول، والهدف النهائي لجميع الممارسات الذاتية "نحن لذواتنا نحن ملكنا"[2]، لا نتبع غير ذاتنا ونمارس على أنفسنا سلطة لا يحدها ولا يهددها شيء، إننا نملك ذاتنا أكثر من ذلك، يجب علينا أن نحدد علاقتنا مع النفس كما لو كانت شيئا ماديا، وتتيح لنا التمتع بالذات كما لو أنها شيء موجود في حوزتنا وتحت أنظارنا، وهذا يعني أن التحول إلى الذات يفهم بمعنى الابتعاد عن الهموم الخارجية، كما يحمل هذا التحول في دلالته أيضا العودة إلى ماضينا الخاص وإعادة التأمل فيه واستعراضه حسب مشيئتنا وتحت أنظارنا الشخصية[3].

ثانيا: علاقات الذات

1-الذات بين المعرفة والسلطة:

السلطة في اللغة هي القوة والقدرة على الشيء، والسلطان هو الذي يكون للإنسان على غيره، وجمع السلطة سلطات، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية والسلطات التربوية والقضائية، وغيرها[4].

وفي المعجم السوفيتي تعرف على أنها: "إحدى الوظائف الأساسية للتنظيم الاجتماعي للمجتمع، إنها القوة الآمرة التي في حوزتها الإمكانية الفعلية لتسيير أنشطة الناس بتنسيق المصالح المتعارضة للأفراد أو الجماعات، وبإلحاق تلك المصالح إلى إدارة واحدة عن طريق الإقناع أو القسر"[5].

يشير هذين التعريفين أن السلطة: أمر، وواقع اجتماعي، والسلطة عموما سياسية أو

(1) ميشيل فوكو: الانهمام بالذات، مرجع سابق، ص 44.

(2) المرجع نفسه، ص 44.

(3) حسين موسى: مرجع سابق، ص 32.

(4) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 670.

(5) عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994، ص43.

غير سياسية لا تقوم إلا في جماعة ومن ثم ظاهرة السلطة هي ظاهرة اجتماعية، وليست السلطة السياسية وحدها تتمتع بالخاصية الاجتماعية، وإنما يشاركها في ذلك السلطات القائمة في التجمعات الإنسانية الأخرى، ويقصد بالسلطة غير السياسة التوصل من خلال علاقات تقام مع الآخرين إلى الحصول على خدمات الآخرين، أو الظفر بطاعتهم، ومصادر هذه السلطة متعددة كالثراء المادي، والمركز الاجتماعي الذي يمثله شخص ما، والذي قد يكون ناتجا لشغله لوظيفة حكومية، وقد يكون مصدر السلطة أيضا الثقافة أو الفن، فكبار الفنانين والخبراء والعلماء يتمتعون بسلطة يمكنهم بواسطتها أن يؤثروا على سلوك الآخرين[1].

والسلطة عند ميشيل فوكو هي مجموعة علاقات القوة وذلك في مقابل بنية سياسية كالدولة أو الحكومة أو طبقة اجتماعية مهيمنة، وعلاقات السلطة تخترق العلاقات الإنسانية مهما كانت، فالسلطة حاضرة دائما في نسيج العلاقات الإنسانية وتعمل دائما على قيادة الآخرين، وإذا كانت علاقات السلطة تتميز بطابعها المتحرك والمتغير بما أنها تنتشر على الجسد الاجتماعي كله، فإن أهم ما يميزها على الإطلاق في نظر فوكو هو الحرية، فلا وجود لعلاقات السلطة في غياب الحرية، فالحرية شرط لممارسة السلطة، وممارسة السلطة تقتضي حد أدنى من الحرية وإلا انتفت عملية السلطة، وهذا يعني أن علاقات السلطة تتضمن دائما إمكانية المقاومة، ومع أن القول: السلطة توجد في كل مكان تفيد غياب الحرية، إلا أن فوكو يناقض هذه النتيجة بالقول: إذا كانت هناك علاقات سلطة في الحقل الاجتماعي فلأن هناك حرية في كل مكان[2].

ومع ميشيل فوكو لا يمكن اعتبار المعرفة شيئا محايدا منفصلا عن الشروط التي تمارس فيها السلطة، كما لا يمكن الحديث عن الحقيقة إلا في علاقتها بالسلطة وبالأفراد، فالحداثة التي قامت على مبدأ إخضاع الإنسان ومراقبته بالتحكم فيه اقتصاديا وسياسيا انصبت على موضوع الجسد بما أنه أصبح مركز اهتمام وموضوع استكشاف الحقيقة[3]، حيث أنشأت حوله معارف وعلوم تهدف إلى معرفة كل شيء عن الأعضاء التي تكونه،

(1) عبد العزيز العيادي، ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، مرجع سابق، ص 44.

(2) جيل دولوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة ميشيل فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، د.ط، 1986، ص ص 77، 78.

(3) Michel Foucault: surveiller et punir, naissance de la prison, Gallimard, paris, 1995, p 130.

والإمكانيات التي يمكن أن يحققها، والصفات التي تميزه.

وقد أبرز فوكو بشكل جلي التواطؤ بين السلطة والحقيقة عند تناوله لمسألة الرغبات، إذ لاحظ أن الحقيقة التي تم نشرها حول الرغبات وخاصة الجنسية منها تخضع لتحريض قوي من طرف السلطة، فكل فرد في المجتمع مطالب بأن يقول كل شيء يتعلق برغباته، وأن يتحدث عن ممارساته، لأن موضوع الرغبة لم يبق موضوعا يتعلق بعلاقة الفرد بذاته، بل أصبحت المصلحة العامة تتوسط هذه العلاقة جاعلة من الرغبات موضوعا أساسيا بامتياز[1].

فالدولة مطالبة بأن تكون على علم بما يقوم به الأفراد، وما يفعله الناس برغباتهم، وفي هذا السياق تقوم السلطة بتشغيل آلية كانت منتشرة في المجتمعات المسيحية وهي آلية الاعتراف، وبفضل هذه الآلية تدفع السلطة المنتشرة في كل نقطة من نقط المجتمع بالأفراد إلى إنتاج خطاب حول رغباتهم، وأن يقولو كل شيء عن الحقيقة التي أصبحت مطلبا جماعيا وأمرا ضروريا في الوقت نفسه، ويجب على كل فرد أن يخضع ذاته لمتطلباتها ليكون ضمن ما هو حقيقي، فالجنس الذي نخفيه ونعتبره سرا هو نفس الجنس الذي يدعو الاختصاصيون إلى البوح به، والذين نعترف لهم حتى بما أخفيناه على أنفسنا يجعلوننا نثق بقدرتهم على إعانتنا في كشف حقائق ذواتنا، ولا شك بأن هذا البعد العلاجي الذي بدأ يستوثق من خطاب الذات كما استوثق من جسدها يكشف أن الجنس الذي تشكل في صلب منطوق الجنسانية سيصبح مركز اهتمام رئيسي وعامل توحيد لشتات الخطابات والأفعال، فالجنس لم يعد مجرد إحساس ومتعة أو قانون منع، ولكن هو أيضا مجال الحقيقة والخطأ، حيث حقيقة الجنس أصبحت أمرا مهما من حيث هي نافعة وضارة، فتشكل الجنس كرهان للحقيقة[2].

وبهذا اكتسى الاعتراف دورا أساسيا في تشكيل الذات، وهذه العملية لا تتوقف على المرضى والمصابين بأمراض خطيرة، بل كذلك تتعلق بالمجرمين والمتهمين، ومن ثم يحدد فعل الاعتراف موقع المتهم في طقوس إنتاج الحقيقة الجنائية، فيطلب من جسم المتهم الاعتراف ولو احتاج الأمر إلى التعذيب، ولهذا القاضي لا يمارس التعذيب بصورة

(1) Michel Foucault, la volonté de savoir،,t1, Gallimard ,paris, p 10.

(2) حسين موسى: مرجع سابق، ص 114.

اعتباطية، بل عليه أن يجمع الأدلة ويفرز البراهين، فالألم والحقيقة مرتبطان لا ينفصلان، يقول فوكو: "إن الجلد القضائي في القرن الثامن عشر يستمد وظيفته من هذه الاقتصاديات الغريبة، حيث الطقس الذي ينتج الحقيقة مرتبط بالطقس الذي يفرض العقوبة، فالجسد الذي يتم مساءلته أثناء التعذيب هو في الوقت نفسه موقع إجراء العقوبة، وموطن إعلان الحقيقة، كما أن هذا الالتحام بين مجالي العقوبة والحقيقة يبدو كذلك في تنفيذ الحكم ذاته[1].

يؤكد فوكو أن الآليات التي أنتجتها السلطة في الحضارة الغربية لم تؤد إلا إلى قمع الأفراد، بخلق سياج من المراقبة وحثهم على أن يقولوا كل شيء عن جسدهم حتى تسهل عملية التحكم، فعملية التشريح التي قام بها فوكو لفعل السلطة أدى إلى نقد الحضارة الغربية بنشأة خطاب فلسفي يعرف بفلسفة موت الإنسان، وهو خطاب ينذر بفشل مشروع الحداثة، وبتصدع وانهيار جميع الأسس والقيم التي بنيت عليها، وفي مقدمة ذلك الإنسان بما هو كائن الوعي والإرادة، وقد وصف فوكو إنسان الحداثة بقوله أنه كائن منزوع التاريخ محذرا من موته الوشيك، هذا الموت الذي يعني طغيان العقل على صاحب العقل ذاته[2].

ويؤكد فوكو أن السياسة الجديدة للسلطة لم يعد همها القتل وإراقة الدماء، بل على العكس من ذلك، فالسلطة عملت منذ القرن السابع عشر على تدعيم تمركزها في جسد الفرد وذلك بتطويعه وتنمية قابليته وزيادة خضوعه ونفعه في الوقت نفسه، مع دمجه في نظم مراقبة ناجعة ودون تكلفة، فأصبح جسد الفرد قاعدة أساسية للسيرورات البيولوجية من خلال تحديد التحولات والولادات ومعدل الوفيات، ومستوى الصحة ومعدل الأعمار، والذي مكن من هذا التعامل هو السلطة التأديبية المتمثلة في التشريح السياسي للجسد الإنساني[3].

هل التحول من سلطة تبيح الموت إلى سلطة تمجد الحياة دليل على إنسانية السلطة، أم أنه تحول في أشكال وتقنيات ممارساتها؟

(1) ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ت: محمد سبيلا، دار التنوير، ص 63.

(2) ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة جماعية، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، 1994، ص 601.

(3) ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د. ط، 1990، ص 141.

إن التحول من سلطة تميت إلى سلطة تسعى إلى استثمار الحياة ليس دليل على إنسانية السلطة، بل هو ما يمكن السلطة من العمل عبر تحويل أشكال وتقنيات ممارساتها، وهو ما كشفه فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة، حيث بين التحول من تقنيات التعذيب وإراقة الدماء على الملأ إلى سلطة تراقب وتضبط وتقوم وتسجن وتطوع وتستثمر[1].

إننا نخضع للسلطة ونكن لها الولاء، وتجعلنا نحس بأنفسنا وندرك وجودنا، رغم أن فوكو يعتقد أن السلطة دائما تولد المقاومة، إلا أننا لا نعرف كيف يجب أن تكون هذه المقاومة، ذلك أن المقاومة هي الوسيلة التي تعزز بها السلطة نفسها، لقد بين فوكو العلاقة الحميمية بين المعرفة والسلطة، فالمعرفة وسيلة لتعريف الآخرين وتصنيفهم، فعوض أن تحررنا من الجهل فهي تدعم فعل المراقبة الانضباط، ففي مجال الجنسانية كشفت المعرفة أن هناك أفرادا يحملون شذوذا جنسيا، مما أدى إلى عقابهم ووصفهم بالعار[2].

ومن المؤكد أن الدولة هي الشكل الأظهر الذي تنتهي إليه السلطة، إلا أن البحث في السلطة لا يمكن أن ينطلق من سيادة الدولة بوصفها وحدة شاملة للهيمنة وذلك من خلال صورة القانون، وإنما من تضارب الدلالات ومن سيرورات التحول والتخطي، ومن شبكات تطاحن الرغبات والقوى[3].

فالسلطة "ليست مؤسسة وليست بنية وليست قدرة معينة هي حكر على البعض، إنها الاسم الذي نطلقه على وضع استراتيجي معقد في مجتمع معين"[4].

نفهم من هذا أن المعرفة بدل أن تنير الذات وتدعم تحررها، تسهل للسلطة الطريقة المثلى التي يمكن من خلالها التحكم فيها وبوسائل جد بسيطة متغيرة ومتبدلة بتغير الأوضاع والاجتماعات الإنسانية.

(1) ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، 1990، ص 108.

(2) حسين موسى: مرجع سابق، ص، 138.

(3) عبد العزيز العيادي: فلسفة الفعل، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط1، 2007، ص 146.

(4) Michel Foucault: la volonté de savoir, op-cit, p 123.

2-الذات والحقيقة:

يعد آخر ما قام به فوكو من أبحاث في أغلب الأحيان محاولة لإنقاذ الذات، بعد أن أعلنت البنيوية اجتثاثها النهائي، فهل يمكن أن نرى ذلك انعطافا مفاجئا، أو تناقضا في عمل الفيلسوف؟

يقول فوكو: ((في أي شكل تاريخي تم الربط في الغرب بين هذين العنصرين اللذين لا يتصلان بالتطبيق ولا بالتحليل التاريخي العادي ألا وهما الذات والحقيقة))[1].

لقد عاد فوكو في دراساته الأخيرة إلى مرجعية تاريخية قديمة –العالم الإغريقي والروماني- بالرغم من أن كل أعماله السابقة بداية بتاريخ الجنون، وصولا إلى المراقبة والعقاب اهتمت بالعالم الغربي الممتد من عصر النهضة حتى القرن التاسع عشر، وقد قام فوكو بتفسير ذلك، حيث اعتبر أن دراسة الجنس كتجربة تاريخية فريدة ينبغي العودة ليس فقط إلى التراث المسيحي، وإنما إلى الفلسفة القديمة[2].

وفوكو يسترجع في المحاضرات التي ألقاها في الكوليج دو فرانس خاصة منها عام 1970 و1978 و1980، عن الحضارة الإغريقية القديمة أي دراسة القانون الإغريقي وحكومة المدينة، حيث أن كل هذه المحاضرات نقطة ارتكازها هو حول مفهوم الذات، وكيف يمكننا قول الحقيقة عن ذواتنا، وكيف للذات أن تقول الحقيقة عن نفسها بكونها ذات لذة جنسية؟ المشكلة المطروحة هي التشكل التاريخي للذات في علاقتها بالحقيقة بمقدار ما تلزم هذه العلاقة حتى تتكون الذات، وسوف يتم دراسة هذه المشكلة تباعا في بعد المعارف والممارسات الاجتماعية للحياة الجنسية، ما ينبغي مع ذلك هو نقل صياغة جيدة ثانية إلى أحد النصوص الأخيرة: مقدمة استخدام اللذات، حيث يأخذ فوكو هذه التجربة كموضوع نظري، ويتم فهم التجربة بكونها علاقة ترابط متبادلة في الثقافة بين مجالات المعارف والنماذج التطبيعية وأشكال الذاتية، والتجارب (كالجنون، والجريمة، والحياة الجنسية..) والتي يجري تفكرها كما لو أنها هذا الانطواء التاريخي بين لعبة السلطة القضائية ولعبة

(1)ميشيل فوكو، تأويل الذات، مرجع سابق، ص 10.

(2)فريدريك غرو: ميشيل فوكو، ترجمة: محمد وطفة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص ص 117، 118.

العلاقة بإصباغ الذات[1].

وقد كان فوكو يدين الذات في مرحلة الستينيات ليؤسس من خلال هذا النقد الوحيد علاقته بالبنيوية، فإن ما كان يستهدفه هو الذات محور منطقي مناهض للتاريخ، أي الذات التي تقوم بالمحصلات الموحدة وإعطاء المعنى والتجربة الأصيلة والحاملة لقيم عالمية تتعدى التاريخ، فالذات التي يتم استدعاؤها من قبل فوكو في مؤلفاته الأخيرة وفي محاضراته في الكوليج دو فرانس، والتي كانت ذات عناوين معبرة، "كالذاتية والحقيقة، وعلم مبادئ وطرائق النقد وتفسير النصوص القديمة عن الذات"[2].

تتميز الذات بكونها ذات صفة تاريخية، وتأتي أشكال الذاتية التاريخية لتتآلف مع لعبة الحقيقة، ويباشر فوكو دراسته للصيغ التاريخية لخلق الذاتية انطلاقا من التساؤل حول الحياة الجنسية، يتعلق هذا الأمر بتفكر التاريخ الذي يقودنا من الذات المسيطرة على ذاتها كما كان الأمر في الحضارة الإغريقية الكلاسيكية، إلى الذات الجنسية الحديثة الخاضعة للمعالجة الطبية، مرورا بالذات المسيحية المتيقظة للحركات العقلية لجسدها، ومع ذلك سرعان ما يتم تخطي دراسة الحياة الجنسية بدراسة أكثر اتساعا وهي تقنيات الذات، حيث لا يصبح المشكل هو تفهم تشكل الذات في ما تقوم به من تجربة لحياتها الجنسية، وإنما في خلق الإشكالية العامة للذات الإيتيقية، الذات التي تواجه مشاكل القيم الأخلاقية، حيث ينبغي أن نفهم الذات في إطار تشكلها الذاتي، أي أن نفهم التقنيات والممارسات التي تتأسس من خلالها علاقة محددة مع الذات[3].

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن فوكو كان يدين الذات في مرحلة الستينيات ليؤسس من خلال هذا النقد الوحيد علاقته بالبنيوية، فإن ما كان يستهدفه هو الذات كمحور منطقي مناهض للتاريخ، أي الذات التي تقوم بالمحصلات الموحدة وإعطاء المعنى والتجربة الأصيلة والحاملة لقيم عالمية تتعدى التاريخ، فالذات التي يتم استدعاؤها من

(1)فريديريك غرو، مرجع سابق، ص ص 118، 119.

(2)المرجع نفسه، ص 120.

(3)فريدريك غرو، مرجع سابق، ص ص120، 121.

قبل فوكو في مؤلفاته الأخيرة وفي محاضراته في الكوليج دو فرانس، والتي كانت ذات عناوين معبرة، "كالذاتية والحقيقة، وعلم مبادئ وطرائق النقد وتفسير النصوص القديمة عن الذات"[1].

تتميز الذات بكونها ذات صفة تاريخية، وتأتي أشكال الذاتية التاريخية لتتآلف مع لعبة الحقيقة، ويباشر فوكو دراسته للصيغ التاريخية لخلق الذاتية انطلاقا من التساؤل حول الحياة الجنسية.

ويتعلق هذا الأمر بتفكر التاريخ الذي يقودنا من الذات المسيطرة على ذاتها، كما كان الأمر في الحضارة الإغريقية الكلاسيكية، إلى الذات الجنسية الحديثة الخاضعة للمعالجة الطبية، مرورا بالذات المسيحية المتيقظة للحركات العقلية لجسدها.

ومع ذلك، سرعان ما يتم تخطي دراسة الحياة الجنسية بدراسة أكثر اتساعا وهي تقنيات الذات، حيث لا يصبح المشكل هو تفهم تشكل الذات في ما تقوم به من تجربة لحياتها الجنسية، وإنما في خلق الإشكالية العامة للذات الإيتيقية، الذات التي تواجه مشاكل القيم الأخلاقية، حيث ينبغي أن نفهم الذات في إطار تشكلها الذاتي، أي أن نفهم التقنيات والممارسات التي تتأسس من خلالها علاقة محددة مع الذات[2].

المراجع:

المراجع العربية:

1. ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة: الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2011.
2. ميشيل فوكو: الإنهمام بالذات، ترجمة: جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت، 1991.
3. ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ت: محمد سبيلا، دار التنوير.
4. ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة جماعية، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، 1994.
5. ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة: علي مقلد، مركز الإنماء القومي،

(1) المرجع نفسه، ص 120.

(2) المرجع نفسه، ص ص120، 121.

بيروت، د.ط، 1990.
6. ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د. ط، 1990.
7. الزواوي بغورة: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2013.
8. حسين موسى: ميشيل فوكو الفرد والمجتمع، دار التنوير، تونس، 2009.
9. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
10. عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994.
11. جيل دولوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة ميشيل فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، د.ط، 1986.
12. عبد العزيز العيادي: فلسفة الفعل، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط1، 2007.
13. فريدريك غرو: ميشيل فوكو، ترجمة: محمد وطفة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008.
14. خالد البحري: إستطيقا الذات لدى فوكو، مجلة دراسات فلسفية، العدد03، نوفمبر، 2014.

المراجع الأجنبية:

(1). Michel Foucault: les mots et les choses, Gallimard. Paris. 1966.
(2). Michel Foucault: l'usage de plaisirs, Gallimard, paris, 1984.
(3). Foucault, Dits et écrits, vol 4, Gallimard. Paris.1978
(4). Michel Foucault: surveiller et punir, naissance de la prison, Gallimard, paris, 1995.
(5). Michel Foucault, la volonté de savoir،,t1, Gallimard, paris.